Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ـ المتلمس
وإني لأمضي الهم عند احتضاره ـ طرفة[45]

ولا ريب هنا أن التشابه كبير ويبدو عليه أنه شامل. ولكن هذا التشابه حدث بسبب الانتقال من مقدمة إلى أخرى. ولم يرد في قلب الجمل الشعرية. إنه ينهي جملة ويفتتح أخرى، مثل قولهم (فدع ذا) ومثل قولهم في الرسائل: أما بعد. ولن يعجز التشريح النصوصي عن كشف أسرار هذه الظواهر. ولنقف عند التشابه بين طرفة والمتلمس. وتحديد هذا الاختيار هو بسبب القصة المشهورة بين الشاعرين. والقصة تقول إن طرفة سمع المتلمس ينشد قائلاً:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره
بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال طرفة: استنوق الجمل، لأنه وصف جمله بصفات الناقة. وكان لهذه الملاحظة وقع مؤلم على المتلمس، وقد قالها طرفة وهو فتى صغير. وخطأ المتلمس كان في وصفه للجمل بالصيعرية وهي صفة للناقة، كما يقول ابن قتيبة في ترجمته للمتلمس في كتابه الشعر والشعراء.

وهذا معناه أن طرفة كان يداخل البيت في قصيدته عن وعي وعن قصد. ولا بأس أن نتعجل فنقول إنه يداخله أيضاً لسر إبداعي لا يصعب كشفه. وسواء صدقنا قصة نقد طرفة للمتلمس أو لم نصدقها، فإن السّر الإبداعي سيظل غيرمتأثر بشروط القصة، لأنه سرّ موجود في النص كجزء من بلاغته وشاعريته. وحسب (لوحة التلقي) لهارولد بلوم[46] فإن كل مبدع يدخل في منافسة مع سالفه، ولن تتحقق له صفة الإبداع إلاّ بتجاوز السالف. وهذا